

التحليل البنيوي للشعر

النظرية التواصلية لرومان جاكبسون

عد رومان جاكبسون (1896-1982م) من أهم رواد الشكلائية الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب ومن أهم رواد التحليل البنيوي في ميادين: اللغة والشعر والفن. وقد قال عنه الباحث الأمريكي ديفيد كارتر صاحب كتاب (النظرية الأدبية): "كان رومان جاكبسون جسرا بين الشكلائية الروسية والبنيوية. وقد كان عضوا مؤسساً لدائرة موسكو اللغوية، حيث تكشف جميع كتاباته عن مركزية النظرية اللغوية في فكره، وخاصة تأثير سوسير. والكتب القيمة، مثل: (الشعر الروسي الحديث) 1921م، و(حول الشعر التشيكي 1923م، و(ثمانية أسئلة حول الشعرية) 1977م.

كان رومان جاكبسون أول من طبق المنهج البنيوي اللساني على الشعر، حينما حلل مع كلود ليفي شتراوس قصيدة القطط لشارل بودلير سنة 1926م. وقد درسها الاثنان دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنيوية المتفاعلة، بغية البحث عن دلالة البناء. وقد انصب هذا العمل التشرحي على مقارنة القصيدة تفكيكا وتركيبا، بالاعتماد على اللسانيات البنيوية، مع استقراء المعطيات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

ارتبطت الشعرية برومان جاكبسون فقد أسسها على أسس وصفية وعلمية موضوعية، بالتركيز على الأدبية، والقيمة المهيمنة، والعناصر البنيوية التي تميز جنسا أدبيا عن الآخر. ومن ثم، فقد كان يقارن بين لغة الشعر ولغة النثر العادية، في ضوء مقارنة بنيوية لسانية، وكان هدفه الأساس هو البحث في أدبية النص استبدالاً وتأليفاً. وقد ركز كثيرا على دراسة الشعر لسانيا، باحثا عن قواعده وقوانينه بمقارنته بالكلام اليومي. وبالتالي، فقد كان يعنى باستقراء المعطيات النصية الصوتية والإيقاعية والنغمية والصرفية والتركيبية والبلاغية والدلالية، ضمن نسق تفاعلي كلي، تترايط فيه العناصر البنيوية جميعها إيجابا وسلبا، تفكيكا وتركيبا. وقد اهتم بالخصوص باللغة الشعرية، وربط الصوت بالدلالة، مع تصنيف المعطيات المبنية في النص الشعري؛ بغية رصد الوظيفة الجمالية أو الشعرية التي تتحقق في النص، ودراسة الدوال اللفظية باعتبارها علامات سيميائية.

ومن جهة أخرى، فقد اهتم بالتوازي أو التعادل حينما تحدث عن الوظيفة الجمالية القائمة على إسقاط محور الانتقاء أو الدلالة على محور التركيب أو التأليف. ومن ثم، لا يقتصر التوازي على الإيقاع فقط، بل يمتد ليشمل التركيب والدلالة معا. وفي هذا الصدد، يقول جاكبسون: "كل مقطع، في الشعر، له علاقة توازن بين المقاطع الأخرى في المتتالية نفسها، وكل نبر لكلمة يفترض فيه أن يكون مساويا لنبر كلمة أخرى، وكذلك فإن المقطع غير المنبور يساوي المقطع غير المنبور، والطويل عروضا يساوي الطويل، والقصير

يساوي القصير، وحدود الكلمة تساوي حدود الكلمة، وغياب الحدود يساوي غياب الحدود، وغياب الوقف يساوي غياب الوقف. فالمقاطع تحولت إلى وحدات قياس والشيء نفسه تحولت إليه أجزاء المقاطع وأنواع النبر.

كما اهتم جاكبسون، ضمن تحليله للوظيفة الجمالية أو الشعرية، بالمحورين: الاستبدالي والتركيبي وعلاقتهما بالاستعارة والكناية. فقد أثبت أن الاستعارة شعرية، أما الكناية فهي واقعية. "وقد تطورت هذه الفكرة نتيجة البحث في الاضطراب العقلي وفقدان القدرة على الكلام. وفي جملة" عبرت السفينة البحر"، يمكن أن تكون الجملة مجازية أو استعارية عن طريق اختيار فعل مختلف، على سبيل المثال، بمقارنة حركة السفينة" بحركة المحراث (حرثت السفينة البحر)، والكتابة هي استخدام وسيلة سمة شيء ما للإشارة إلى الأمر برمته. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يشير العمق للبحر "وعبرت السفينة العمق". تعتمد الاستعارة على مزيج من الأشياء ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة أو متجاورة، بينما تستخدم الكناية السمات المرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً.

وظائف عناصر النظرية التواصلية عند جاكبسون

حدد جاكبسون ست وظائف للغة، كل وظيفة لها عامل مرتبط بها. بحيث إن كل عامل يعدّ النقطة المحورية لعلاقة أو وظيفة موجهة تعمل بن الرسالة والعامل.

1. **المرجعية:** وهي موجهة نحو السياق (وتصف موقفاً أو كائناً أو حالة عقلية كالوظيفة المهيمنة في رسالة مثل: "الماء يغلي عند 100 درجة"). يمكن أن تتكون العبارات الوصفية للوظيفة المرجعية من كل من الأوصاف أو التفسيرات.
2. **الانفعالية:** موجهة نحو المرسل؛ ويتم تمثيلها بشكل أفضل من خلال التدخلات وتغيرات الصوت الأخرى التي لا تغير المعنى الدلالي للكلام، ولكنها تضيف معلومات حول الحالة الداخلية للمرسل أو المتلفظ. على سبيل المثال "واو، يا له من منظر!".
3. **الإفهامية:** موجهة نحو المرسل إليه؛ ويتم توضيحها بشكل أفضل من خلال الدعوات والأوامر.
4. **التنبيهية:** تعمل الوظيفة التنبيهية على إنشاء أو إطالة أو إيقاف الاتصال؛ وتستعمل من أجل التفاعل وبالتالي فهي مرتبطة بعامل الاتصال. يمكن ملاحظة الوظيفة التنبيهية في التحيات والمحادثات غير الرسمية حول الطقس، خاصة مع الغرباء.
5. **ما وراء اللغة:** تُستخدم هذه الوظيفة لإنشاء اتفاق متبادل بشأن الوضع وهي استخدام اللغة لشرح أو وصف نفسها.
6. **الشعرية:** تضع "التركيز على الرسالة لمصلحتها، وهي الوظيفة التنفيذية في الشعر وكذلك الشعارات.

مخطط العناصر التواصلية للنظرية التواصلية ووظائفها عن جاكبسون

المقام

وظيفة مرجعية

المرسل إليه

وظيفة الإفهامية أو التأثيرية

الرسالة

وظيفة شعرية

المرسل

وظيفة التعبيرية أو الانفعالية

القناة

وظيفة انتباهية أو تنبيهية

الشفرة

وظيفة ما وراء اللغة

ومن باب التوضيح أكثر، فإن نصا ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفًا متمازجة؛ إذ قد نعابها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبية على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال. ومن هنا، تهيمن الوظيفة الجمالية الشعرية على الشعر الغنائي. في حين، تهيمن الوظيفة التأثيرية على الخطبة، وتهيمن الوظيفة الميتالغوية على النقد الأدبي، وتغلب الوظيفة المرجعية على النصوص التاريخية، وتهيمن الوظيفة الانفعالية على النصوص الشعرية الرومانسية، وتغلب الوظيفة الحفاظية على المكالمات الهاتفية.

المراجع

1. عبد الحق قاسمي: وظائف النص معيار مقصدية المتلفظ.
2. يوسف بغداد: إسهامات رومان جاكبسون في تحديد مفهوم الشعرية الحديثة
3. حليلة عمارة: تأثير رومان ياكوبسون في النقد البنيوي